

المثل الأول

كمثل الذي استوقد ناراً

obeikandi.com

## المثل الأول:

### كمثل الذي استوقد ناراً

والآن مع أول مثل ورد في القرآن، يقول الله تعالى عن المنافقين:

{مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ} [البقرة: ١٧ - ١٨].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير هاتين الآيتين ما نصّه:

(وتقدير هذا المثل أن الله سبحانه شبّههم في اشترائهم الضلالة بالهدى وصيرورتهم بعد البصيرة إلى العمى، بمن استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حوله، وانتفع بها وأبصر بها ما عن يمينه وشماله، وتأنس بها... فبينما هو كذلك إذ طُفئت ناره وصار في ظلام شديد، لا يبصر ولا يهتدي وهو مع هذا أصم لا يسمع أبكم لا ينطق أعمى لو كان ضياءً لما أبصر، فلهذا لا يرجع إلي ما كان عليه قبل ذلك، فكذلك هؤلاء المنافقون في استبدالهم الضلالة عوضاً عن الهدى، واستحبابهم الغي على الرشاد، وفي هذا المثل دلالة على أنهم آمنوا ثم كفروا، كما أخبر تعالى عنهم في غير هذا الموضع، وقال الرازي: والتشبيه هنا في غاية الصحة لأنهم بإيمانهم اكتسبوا أولاً نوراً، ثم بنفاقهم ثانياً أبطلوا ذلك فوقعوا في حيرة عظيمة، فإنه لا حيرة أعظم من حيرة الدين، وقال تعالى: {ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ} أي أذهب عنهم ما ينفعهم وهو النور وأبقى لهم ما يضرهم وهو الإحراق والدخان {وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ} وهو ما هم فيه من الشك والكفر والنفاق، {لَا يُبْصِرُونَ} بسبب ضلالتهم وعماية بصائرهم، كما قال

تعالى: {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [الحج: ٤٦].

قال تعالى: {ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ} ولم يقل بضوئهم، لأن هذا النور ليس ذاتياً لهم وإنما اكتسبوه من الإيمان الذي تلبسوا به أولاً، كما أن نور القمر مكتسب من الشمس وليس ذاتياً كضوئها، ولذلك قال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا} [يونس: ٥]، فهؤلاء المنساقون أطفأوا نور الإيمان بنفاقهم فعاشوا في ظلمات النفاق والشك والكفر ليسوا بخارجين منها فقال الله تعالى: {أَوْ مَن كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأنعام: ١٢٢]، هذا، والله تعالى يقول الحق وهو يهدي السبيل.

{وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ} [٤٣]

[العنكبوت: ٤٣].

\*\*\*

المثل الثاني

كصيب من السماء

obeikandi.com

## المثل الثاني:

### كصيب من السماء

فهذا مثل آخر ضربه الله تعالى للمنافقين:

{ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ } ﴿١١﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ [البقرة: ١٩ - ٢٠].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: هذا مثل آخر ضربه الله تعالى لنوع آخر من المنافقين، وهو قوم يظهر لهم الحق تارة ويشكؤون تارة أخرى، فقلوبهم في حال شكهم وكفرهم وترددهم {كصيب} والصيب: المطر نزل من السماء في حال ظلمات وهي الشكوك والكفر والنفاق، و{ورعد} وهو ما يزعج القلوب من الخوف، فإن من شأن المنافقين الخوف الشديد والفرح كما قال تعالى: {يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ} [المنافقون: ٤]، وقال تعالى: {وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ بِمِنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ} [التوبة: ٥٦]، - أي يخافون ويفزعون -.

والبرق: هو ما يلمع في قلوب هؤلاء الضرب من المنافقين في بعض الأحيان من نور الإيمان، ولهذا قال تعالى: {يَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ} أي ولا يجسدي عنهم حذرهم شيئاً لأن الله محيط بهم بقدرته، وهم تحت مشيئته وإرادته، ثم

قال تعالى: {يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ} أي لشدة وقوته في نفسه وضعف بصائرهم وعدم ثباتها للإيمان، قال ابن عباس: {يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ} أي لشدة ضوء الحق {كَلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا} أي كلما ظهر لهم من الإيمان شيء استأنسوا به واتبعوه، وإذا عرضت لهم الشكوك أظلمت قلوبهم فوقفوا حائرين، وعن ابن عباس: يعرفون الحق ويتكلمون به، فهم من قولهم به علي استقامة فإذا ارتكسوا منه إلى الكفر قاموا متحيرين. وهكذا يكون يوم القيامة عندما يُعطى الناس النور بحسب إيمانهم، فمنهم من يُعطى من النور ما يضيء له مسيرة عشرات الأميال وأكثر من ذلك وأقل من ذلك ومنهم من يُطفأ نوره تارة ويُضيء أخرى، ومنهم من يمشي علي الصراط تارة ويقف أخرى، ومنهم من يُطفأ نوره تماماً فيتخبط في الظلمات وهم الخُلص من المنافقين الذين يقولون للمؤمنين يوم القيامة: {انظُرُونَا نَقْنِسَ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا} [الحديد: ١٣]، أما المؤمنون فإبناهم: {نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا} [التحريم: ٨]، يقول تعالى: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

قال ابن جرير: إنما وصف الله تعالى نفسه بالقدرة علي كل شيء في هذا الموضع لأنه حذر المنافقين بأسه وسطوته وأخبرهم أنه بهم محيط، وعلي إذهاب أسماعهم وأبصارهم قدير.

وقد ذهب كثير من المفسرين إلي أن هذين المثليين الأول والثاني مضروبان لصنف واحد من المنافقين، وتكون (أو) في قوله تعالى {أَوْ كَصَيْبٍ} بمعنى الواو أو تكون للتخيير، أي اضرب لهم مثلاً بهذا وإن شئت فهذا، وقال القرطبي: (أو) للتساوي، فعلى قوله يكون

المعنى: سواء أضربت لهم مثلاً بهذا أو بهذا فهو مطابق لحالهم.

وقال ابن كثير: فجعل هذين المثلين لصنفين من المنافقين أشد مطابقة لأحوالهم وصفاتهم كما ضرب المثلين في سورة النور لصنفين من الكفار: الدعاة والمقلدين في قوله تعالى {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ} [النور: ٣٩]، إلي أن قال: {أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ} [النور: ٤٠] الآية، للدعاة الذين هم في جهل مركب، والثاني لذوي الجهل البسيط من الأتباع والمقلدين، وسيأتي الكلام عن المثلين من سورة النور في حينه إن شاء الله تعالى.

\*\*\*

obeikandi.com

المثل الثالث

بعوضةٌ فما فوقها

obeikandi.com

### المثل الثالث:

### بعوضة فما فوقها

يقول الله تعالى:

{إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ۚ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَلَّوْا مَاذًا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾} [البقرة: ٢٦].

قال السُّدِّي:

لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين - يعني قوله تعالى {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا} [البقرة: ١٧]، وقوله: {أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ} [البقرة: ١٩]، قال المنافقون: الله أعلي وأجل من أن يضرب هذه الأمثال، فأنزل الله هذه الآية.

وقال قتادة:

لما ذكر الله تعالى العنكبوت والذباب، قال المشركون: ما بال العنكبوت والذباب يذكران؟ فأنزل الله: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ۚ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا} أي: إن الله لا يستحيي من الحق أن يذكر شيئاً مما قلّ أو كثر وإن الله حين نكر في كتابه الذباب والعنكبوت قال أهل الضلالة: ماذا أراد الله من ذكر هذا؟ فأنزل الله هذه الآية، ومعنى الآية: أنه تعالى لا يستنكف، وقيل لا يخشى أن يضرب مثلاً ما بأي شيء كان صغيراً أو كبيراً.

(فما) هنا للتقليل أو نكرة موصوفة ببعوضة، ويجوز أن تكون (بعوضة) منصوبة علي نزع الخافض أي حذف الجار وهو هنا الإضافة بالظرف، وتقدير الكلام: إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بين بعوضة إلي ما فوقها وهذا الذي اختاره الكسائي والفرّاء.

وقوله: {فَمَا فَوْقَهَا} فيه قولان: أحدهما: فما دونها في الصغر والحقارة، كما تصف شيئاً بالصغر، فيقول السامع: نعم فهو فوق ذلك، يعني أصغر من ذلك وهذا قول أكثر المحققين.

والثاني: {فَمَا فَوْقَهَا} لما هو أكبر منها لأنه ليس شيء أحقر ولا أصغر من البعوضة، وهذا قول قتادة واختاره ابن جرير، يؤيده ما رواه مسلم عن أم المؤمنين عائشة رضي عنها أن رسول الله قال: «ما من مسلم يُشاك شوكة فما فوقها إلا كُتبت له بها درجة ومُحيت عنه بها خطيئة»<sup>(١)</sup>.

خبر سبحانه في هذا المثل أنه لا يستصغر شيئاً يضرب به مثلاً ولو كان في الحقارة والصغر كالبعوضة، فكما لا يستتكف عن خلقها، كذلك لا يستتكف عن ضرب المثل بها كما ضرب المثل بالذبابة والعنكبوت. ♦

{فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ} أي يعلمون أنه كلام الرحمن وأنه من عند الله، {وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَلَّوْا مَا آتَاوَاهُ اللَّهُ بِهِذَا مَثَلًا} لا يفقهون ولا يفهمون وعلي ربهم ينكرون ضرب المثل بالبعوضة، فقال تعالى فيهم {يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا}، {وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ} قال ابن عباس: {يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا} يعني

(١) رواه مسلم عن أم المؤمنين عائشة.

المنافقين {وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا} يعني المؤمنين، فيزيد هؤلاء ضلالة إلي ضلالتهم لتكذيبهم بما قد علموه حقاً يقيناً من المثل الذي ضربه الله، {وَيَهْدِي بِهِ} يعني المثل كثيراً من أهل الإيمان والتصديق، فيزيدهم هدى إلى هداهم وإيماناً إلى إيمانهم، {وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ} قال أبو العالية: هم أهل النفاق، وقال قتادة: فسقوا فأضلهم الله علي فسقهم.

{وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ} (٤٣)

[العنكبوت: ٤٣].

\*\*\*

obeikandi.com

المثل الرابع

قلوب أقسى من الحجارة

obeikandi.com

### المثل الرابع:

### قلوب أقسى من الحجارة

يقول الله تعالى:

{ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾} [البقرة: ٧٤].

هذا المثل موجه إلي بني إسرائيل توبيخاً وتقريعاً لهم علي ما شاهدوه من آيات الله تعالي ومعجزاته العظيمة، يقول الله تعالي {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ} كله فهي كالحجارة التي لا تلين أبداً ولا علاج لقسوتها أو أشد قسوة من الحجارة، فإن من الحجارة ما يتفجر منه الأنهار حيث تلين وتتفتت أمام الأنهار الجارية، وإن منها لما يتشقق فينبع منه الماء وإن لم يكن جارياً، وإن منها ما يهبط من رأس الجبل خشية لله تعالي، فالمعني: وإن من الحجارة لما هو ألبين من قلوبكم القاسية وأنتم تدعون إلي الحق والإيمان فتعرضون.

وقد زعم أناس أن إسناد الخشية والخشوع إلي الحجارة من قبيل المجاز، قال الرازي والقرطبي: ولا حاجة إلي هذا، فإن الله تعالي يخلق فيها هذه الصفة، كما أسند إليها الإشفاق في قوله: {فَأَبِينَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا} [الأحزاب: ٧٢]، وكما أسند القول والإتيان والطاعة إلي السماوات والأرض في قوله: {قَالَتَا أَئِنَّا لَطَائِعِينَ} [فصلت: ١١]، وأسند السجود للنجم والشجر في قوله: {وَالتَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ} [الرحمن: ٦]، وأسند التسبيح إلي كل شيء حتى الجمادات في قوله: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا

يُسِّحُ بِجَدِّهِ، وَلَكِنْ لَا نَفَقَهُونَ نَسَبَهُمْ} [الإسراء: ٤٤]، ومن لين الحجارة أنها تحب المؤمنين وتسلم علي رسول الله ﷺ كل ذلك علي سبيل الحقيقة لا المجاز، ففي الصحيح، قال رسول الله ﷺ عن جبل أحد: «هذا جبل يحبنا ونحبه» وفي صحيح مسلم: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن».

وقد اختلف علماء اللغة العربية علي لفظة (أو) في قوله تعالى: {فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً} بعد إجماعهم علي استحالة كونها للشك، قال بعضهم هي بمعنى الواو، فيكون المعنى: هي كالحجارة وأشد قسوة، واستشهدوا علي ذلك بقوله تعالى: {وَلَا تَطْعَمْنَهُمْ أَيْمَانًا أَوْ كُفُورًا} [الإنسان: ٢٤]، أي أيماناً ولا كفوراً، ويقول: {عُدْرًا أَوْ نُدْرًا} [المرسلات: ٦]، أي ونذراً وقال آخرون: (أو) بمعنى بل، فيكون المعنى: هي كالحجارة بل أشد قسوة، ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: {إِذَا رُجُوتُ مِنْهُمُ الْخَشْيَةَ} كخشيّة الله أو أشد خشيّةً [النساء: ٧٧]، أي بل أشد خشية، وقوله سبحانه: {وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ} [الصافات: ٤٧]، أي بل يزيدون، وقال بعضهم: معني ذلك فقلوبكم لا تخرج عن أحد هذين المثليين إما أن تكون كالحجارة في القسوة، وإما أن تكون أشد منها قسوةً.

### قال ابن جرير:

ومعني ذلك علي هذا التأويل: فبعضها كالحجارة قسوةً، وبعضها أشد قسوةً من الحجارة ورجحه ابن جرير، قال ابن كثير: وهذا القول الأخير يبقى شبيهاً بقوله تعالى: {مِثْلُهُمْ كَمِثْلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا} [البقرة: ١٧]، مع قوله: {أَوْ كَصِيبٍ مِّنَ السَّمَاءِ} [البقرة: ١٩]، وكقوله: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ} [النور: ٣٩]، مع قوله: {أَوْ كظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ} [النور: ٤٠].

أي إن منهم من قلوبهم كالحجارة قسوةً، ومنهم من قلوبهم أشد قسوةً من الحجارة، هذا، وقد نهى الله تعالى عباده المؤمنين عن مثل حال بني إسرائيل الذين نزل فيهم هذا المثل، وحذرنا أن تقسو قلوبنا كما قست قلوبهم فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: ١٦].

أي: أما أن الأوان للمؤمنين أن تلين قلوبهم عند ذكر الله واستماع القرآن فتفهمه وتتقاده له وتسمع وتطيع، وتكف عن المعاصي وتقلع عن الذنوب التي تقسيها وتمرضها وتسودها بالران وتصدئها بصدأ الغفلة والإعراض عن ذكر الله ولا يكونوا كأهل الكتاب الذين قست قلوبهم فكانت كالحجارة أو أشد قسوة.

وحتى لا نياس من لين قلوبنا وخشوعها لذكر الله، فتح الله لنا أبواب الأمل فقال جل ذكره بعد آية المعاتبة السابقة مباشرة من سورة الحديد: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدِ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد: ١٧].

فإنه تعالى يلين القلوب بعد قسوتها ويفرج الكروب بعد شدتها، ويحيي الأفئدة بعد موتها كما يحيي الأرض الميتة المجدبة الهامدة بالغيث الوابل، كذلك يهدي القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل ويولج إليها الواصل، فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الإضلال، الحكم العدل في جميع الفعال الذي هو لما يشاء فعال.

﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ [محمد: ٣].

\* \* \*

obeikandi.com

المثل الخامس

الراعي الشفيق

obeikandi.com

## المثل الخامس:

### الراعي الشفيق

يقول الله تعالى:

{ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ } [البقرة: ١٧١].

هذا مثل آخر للكافرين و{ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوَاءِ } [النحل: ٦٠].

قال القرطبي: شبه الله تعالى واعظ الكفار وداعبيهم وهو سيدنا محمد ﷺ بالراعي الذي ينعق بالغنم والإبل فلا تسمع إلا دعاءه ونداءه، ولا تفهم ما يقول هكذا فسره ابن عباس ومجاهد وعكرمة والسدي والزجاج والفراء وسيبويه، والمعنى: ومثلك يا محمد ومثل الذين كفروا كمثلكم الناعق والمنعوق به من البهائم التي لا تفهم، وقال ابن كثير: { وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا } أي فيما هم فيه من الغي والضلال والجهل كالذباب السارحة التي لا تفقه ما يقال لها، بل إذا نعق بها داعيها، أي دعاها إلي ما يرشدها لا تفقه ما يقول ولا تفهم بل تسمع صوته فقط والنعيق: زجر الغنم والصياح بها، يقال: نعق الراعي بغنمه ينعق نعيقاً ونُعاقاً ونُعقناً. قال الأخطل: انعق بها يا جرير فإنك ممتك نفسك في الخلاء ضلالاً.

هذا وجه، والوجه الثاني لبيان هذا المثل ساقه القرطبي وابن كثير قال الأخير: وقيل: إنما هذا مثل ضرب لهم في دعائهم الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل شيئاً، واختاره ابن جرير والوجه

الأول أولى لأن الأصنام لا تسمع شيئاً لا دعاءً ولا نداءً، أما الغنم فهي تسمع دعاء الناعق ونداءه ولكن لا تفهم ولا تعقل ولا تدري ماذا يريد منها، يقول الله تعالى: {صُمُّ بَكْمٌ عُمِيٌّ} أي صُمٌّ عن سماع الحق، بَكْمٌ لا يقولون به، عُمِيٌّ عن رؤية الحق وطريقه المستقيم، {فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} أي لا يعقلون شيئاً ولا يفهمونه.

أقول: والدعاء للقریب والنداء للبعيد، قدّم الدعاء علي النداء، ليكشف مدى حرصه ﷺ علي هدايتهم فهو يدعوهم عن قرب ويتألفهم عن كثب كما يدعو الراعي غنمه وهي قريبة منه ليقدم لها الطعام والشراب ويصلح من شأنها، فإذا انصرفت وشردت بعيداً عنه، وأبت إلا الفرار منه وهو راعيها الشفيق ناداها بأعلى صوته وهتف فيها يحذرها الضلال ويخوفها الذئب، فلاتزداد منه إلا بعداً وإعراضاً ولا تسمع إلا نداءً رفيقاً شفيقاً حانياً، ولكنها لا تفهمه ولا تعقله: {صُمُّ بَكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} قال ﷺ: «إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية» أي البعيدة الشاردة (١).

{وَلَقَدْ صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا} {٨١} [الإسراء: ٨٩].

\*\*\*

(١) رواه أبو داود والنسائي عن أبي الدرداء.

المثل السادس

هن لباس لكم

obeikandi.com

## المثل السادس:

### هن لباس لكم

يقول الله تعالى:

{أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةٌ الصِّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ  
عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْتَن  
بَشِرُوهُنَّ وَأَتَّبِعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ} [البقرة: ١٨٧].

هذه الآية وإن لم تكن مثلاً صريحاً، إلا أن المعنى يصلح أن يكون مثلاً، والمعنى: إن مثل نساءكم بالنسبة لكم كمثل اللباس الذي تلبسونه فيستركم ويجملكم ومثلكم بالنسبة لنساءكم كمثل لباسهن الذي يسترهن ويزينهن ظاهراً وباطناً، والمقصود باللباس في الآية السكن، فالرجل يسكن إلي زوجته ويشعر معها بالسكينة، والمرأة تسكن إلي زوجها وتشعر معه بالطمأنينة.

قال محمد بن علي الشوكاني في فتح القدير: وقيل إنما جعل كل واحد منهما لباساً للآخر لأنه يستره عند الجماع عن أعين الناس، وقال: وجعل النساء لباساً للرجال والرجال لباساً لهن لامتزاج كل واحد منهما بالآخر عند الجماع كالامتزاج الذي يكون بين الثوب ولابسه.

وقال البيضاوي في أنوار التنزيل وأسرار التأويل: {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ} [البقرة: ١٨٧]، استئناف يبين سبب الإحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابس، ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان - أي يتعانقان - ويشتمل كل منهما علي صاحبه شبه باللباس.

### قال الجعدي:

إذا ما الضجيع ثنى عطفها ::: تثنت فكانت عليه لباساً  
أو لأن كل واحد منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور.  
ولي في هذا المثل عدة وجوه للشبه بين الزوجين واللباس فضلاً  
عن الستر كما تقدم:

**الوجه الأول:** الدفاء فكما أن اللباس يعطي الإنسان الدفاء فكذلك  
كل من الزوجين يعطي صاحبه الدفاء والحرارة، فالرجل بدون  
زوجة محروم من الدفاء الحسي والعاطفي، والمرأة بدون زوج  
مفتقرة إلي الدفاء وحرارة العاطفة، ولكي تدرك ذلك قارن بين رجل  
ينام في فراش وثير دافئ وعليه غطاء وثير يشع دفئاً وحرارةً،  
ورجل آخر يعاني البرد وآلامه لأنه ينام دون فراش دافئ وليس عليه  
غطاء دافئ، فمثل الرجلين كممثل المتزوج وغير المتزوج، ونفس  
المثل ينطبق تماماً علي المرأة.

**الوجه الثاني:** الانتقاء والاختيار، فكما أن الإنسان ينتقي ثوبه  
ويحسن اختياره، ويظل يبحث ويبحث عن الثوب المناسب نوعاً  
وملمساً وجودةً ولوناً وسُمكاً ليناسبه صيفاً بلطفه ونعومته ورقته،  
وشتاءً بدفئه وحرارته، وطولاً واتساعاً حتى يغطي بدنه، كذلك كلُّ  
من الزوجين عليه أن ينتقي زوجه ويحسن اختياره لينعم بنعومته  
ولطفه ودفئه صيفاً وشتاءً وفي كل الأحيان.

**الوجه الثالث:** تبادل المحافظة ودوام المخالطة فإن الثوب يحفظ  
لابسه من العري وانكشاف السوء، ويحفظه من حر الشمس وبرد  
الشتاء وصاحب الثوب أيضاً يجتهد في المحافظة عليه من الدنس

والوحد والقذر والتمزق حتى يظل أطول مدة نظيفاً سليماً، وكلما اتسخ غسله، وكلما خلق عاد إليه فلبسه، ولذلك سمي ثوباً لأن صاحبه يثوب إليه أي يعود إلي لبسه وهكذا يجب علي الزوجين - وهذا شأنهما غالباً - أن يحافظ كل منهما على الآخر ويحفظه من كل ما يشينه، وكذلك كلما ابتعد الزوج عن زوجته أو ابتعدت عنه ثابت إليه وثاب إليها وتعانقا وتلبسا لا يستغني أحدهما عن الآخر كما لا يستغني الإنسان عن ثوبه أبداً.

**الوجه الرابع: الزينة والجمال:** إن الثوب يزين لابسه ويجمله، تخيل نفسك رجلاً أو امرأة مشيت بين الناس بدون ملابس أو حتى رأك الناس مرة واحدة دون قصد منك عرياناً، فكم تكون قبيحاً مُنْفِراً، وكذلك الزوج بزوجته يكون جميلاً أنيقاً متعطراً متجملاً، وكذلك تكون الزوجة لزوجها ظاهراً بالتجمل والتأنق، وباطناً بالعفة والطهارة ورض البصر وإحصان الفرج.

أما الرجل بدون زوجة، والمرأة بدون زوج فحدث ولا حرج عن إهمال المظهر وتدنيس المخبر غالباً إلا ما رحم ربك، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

(١) (رواه البخاري عن عبد الله بن مسعود).

obeikandi.com

المثل السابع

نساؤكم حرث لكم

obeikandi.com

## المثل السابع: نساؤكم حرث لكم

يقول الله تعالى:

{نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِمُوا لِلنَّفْسِكِ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [البقرة: ٢٢٣].

الآية وإن لم تكن مثلاً صريحاً إلا أن معنى المثل متضمن فيها.

والمعنى: مثل نساؤكم بالنسبة لكم كمثل الحرث بالنسبة للزارع، فشبهه سبحانه وتعالى أرحام النساء بالأرض التي تُحرث، ونطفة الرجل بالبذرة التي تُلقى في الأرض وشبهه الولد الذي يخرج من الرحم بالزرع الذي ينمو وينضج ويكبر من البذرة التي بذرها الرجل في حرثه، ولما كان الأمر كذلك وجب إتيان المرأة في قبلها لا في دبرها، لأن القبل موضع البذر وموضع خروج الولد وهو الصمام الموصل للرحم موضع الحرث، أما الدبر فلا ينطبق عليه ذلك، فجعل الله تعالى من الفطرة السليمة والشريعة القويمة استقباح واستنذار بل واستهجان وتحريم إتيان المرأة في دبرها، ولذلك قال الله جلّ وعلا في الآية السابقة: {فَأَتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ} [البقرة: ٢٢٢]، أي في القبل، قال الشوكاني في فتح القدير: لفظ الحرث يفيد أن الإباحة لم تقع إلا في الفرج الذي هو القبل خاصة إذ هو مزدرع الذرية كما أن الحرث مزدرع النبات فقد شبه ما يُلقى في أرحامهن من النطف التي منها النسل بما يلقى في الأرض من البذور التي منها النبات، وقوله: {أَنَّى شِئْتُمْ} أي من أي جهة شئتم من خلف وقُدَام

وباركة ومستلقية ومضطجعة إذا كان في موضع الحرث، وأنشد  
ثعلب:

إنما الأرحام أرضون لنا محترثاتُ :: فعلينا الزرع فيها وعلى الله النباتُ  
وإنما عبّر سبحانه بقوله: {أَنْنَى} لكونها أعم في اللغة من كيف وأين  
ومتى، أما سيبويه ففسرها هنا بكيف، وقد ذهب السلف والخلف من  
الصحابية والتابعين والأئمة إلى أنّ إتيان الزوجة في دبرها حرام،  
وروى مسلم وأبو داود عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن اليهود قالوا  
للمسلمين: من أتى امرأة وهي مدبرة جاء الولد أحول؛ فأنزل الله:

{نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْنَى شَيْئًا} فقال رسول الله ﷺ: «مقبلة  
ومدبرة إذا كان ذلك في الفرج» وروى الإمام أحمد عن خزيمة بن ثابت  
رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «نهي أن يأتي الرجل امرأته في دبرها» وفي رواية  
قال: «استحيوا إن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أعجازهن»  
وقوله تعالى: {وَقَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ} أي من فعل الطاعات وترك المحرمات،  
قيل بابتغاء الولد، بالتسمية عند الجماع، ثبت في صحيح البخاري  
عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن أحدكم إذا أراد أن  
يأتي أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا،  
فإنه إن يُقدّر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبدا»، «واتقوا الله واعلموا  
أنكم ملاقوه» فيحاسبكم على أعمالكم {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} الممتثلين لما  
أمرهم، التاركين ما عنه زجرهم.

\*\*\*

المثل الثامن: سنابل البركة

**المثل الثامن**

**سنابل البركة**

obeikandi.com

## المثل الثامن: سنابل البركة

يقول الله تعالى:

{مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٦١].

هذا مثل ضربه الله تعالى لمن ينفق ماله في طاعة الله وفي مرضاة الله وفي الجهاد في سبيله لإعداد العدة وتجهيز الجيوش المسلمة المجاهدة لتكون كلمة الله هي العليا.

والمعنى: مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل زارع زرع في الأرض حبة، فأنبتت الحبة سبع سنابل {فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ} فشبه المتصدق بالزارع وشبه الصدقة بالبذرة، فيعطيه الله بكل صدقة سبعمائة حسنة ثم قال تعالى: {وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ} يعني علي السبعمائة، روى أبو حاتم وابن حبان وأخرجه ابن مردويه عن ابن عمر رضي الله عنهما لما نزلت هذه الآية: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} قال النبي ﷺ: «رَبِّ زِدْ أُمَّتِي» قال: فأَنْزَلَ اللهُ: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} [البقرة: ٢٤٥].

قال النبي ﷺ: «رَبِّ زِدْ أُمَّتِي» قال: فَأَنْزَلَ اللهُ: {إِنَّمَا يُوفِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: ١٠].

{وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ} أي بحسب درجة إيمانه واحتسابه وإخلاصه في إنفاقه في سبيل الله ومدى بعده عن الرياء والسمعة.

{وَاللَّهُ وَسِعَ عَلِيمٌ} أي فضله أوسع وأكثر مما يُتصور، فلا يضيق عن أن يسع جميع خلقه ويزيد ويفيض، ويجازي المخلصين بسبعمائة ضعفٍ وزيادة، عليم بالمخلصين والمرائين خبير بمن يستحق ومن لا يستحق، سبحانه وتعالى.

قال ابن كثير: وهذا المثل أبلغ في النفوس من ذكر عدد السبعمائة، فإن فيه إشارة إلي أن الأعمال الصالحة ينميها الله عز وجل لأصحابها كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة.

{وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [إبراهيم: ٢٥].

\*\*\*